فَـلِـلَّـهِ دَرّي! كَـمْ غُـبَـارٍ قَـطَـعْـتُـهُ
عـلـى ضَـامـرِ الـجَـنْـبَـيـنِ مُـعـتـدِلِ الـقَـدّ[١]
وَطـاعَـنـتُ عـنـه الـخَـيْـلَ حـتـى تـبـدّدَتْ
هِـزَامـاً كـأسـرَابِ الـقَـطـاءِ إلـى الـوِرْدِ[٢]
فَـزَارَةُ! قَـدْ هَـيّـجْـتُـمُ لَـيـثَ غـابَـةٍ
وَلـمْ تـفـرِقـوا بَـيـنَ الـضّـلالَـةِ وَالـرُّشْـدِ[٣]
فَـقُـولُـوا لـحِـصْـنٍ، إنْ تَـعـانـى عَـدَواتـي
يَـبـيـتُ عـلـى نـارٍ مـن الـحُـزْنِ وَالـوَجْـدِ[٤]

فخر الرجال سلاسل وقيود

أُخذ أسيراً في حرب كانت بين العرب والعجم، وكانت عبلة من جملة السبايا، فتذكر أيامه معها وهو في السلاسل والقيود فعظم عليه الأمر، وخنقته العبرة، فقال:

[الكامل]

فَـخْـرُ الـرّجـالِ سَـلاسِـلٌ وَقُـيُـودُ،
وَكـذَا الـنّـسَـاءُ بَـخَـانِـقٌ وَعُـقُـودُ[٥]

(١)، (٢) يعجب الشاعر بما يقوم به، فلطالما قطع المهامه وأثار الغبار على جواد ضامر الجنبين لكثرة التجوال في أرض اللّه الواسعة يخوض الحروب ويتصدّى صاحبه للمقاتلين أسراباً أسراباً وكأنهم طيور القطا تقصد الشرب وترد إلى النهر الجاري بعنف.

(٣)، (٤) يخاطب الشاعر بني فزارة أنهم بأفعالهم أثاروه، أثاروا أسداً يحمي غابة وعريناً يستحيل عليهم الفتك به، ذلك أنهم لم يقدّروا ما هم مقبولون عليه. وهو يطلب منهم أن يُحذّروا حصن بن حذيفة سيدهم وأميرهم ألا يستعديه؛ ففي هذه الحالة سوف يسوق لنفسه ناراً حارقة لا تبقي ولا تذر سوى الأحزان والآلام في النفوس.

(٥) البخانق، واحدها بخنق: برقع ساتر للصدر والعنق. الرجال بحقّ يفخرون =

وَإذا غُـبَـارُ الـخَـيْـلِ مَـدّ رُوَاقَـهُ،
سُـكْـرِي بـهِ لا مـا جـنـى الـعُـنـقـودُ[١]
يـا دَهْـرُ! لا تُـبْـقِ عـلـيّ فَـقَـدْ دَنـا
مـا كُـنْـتُ أطْـلُـبُ قـبـلَ ذا وَأُرِيـدُ[٢]
فَـالـقَـتْـلُ لـي مـن بَـعـدِ عَـبْـلَـةَ رَاحَـةٌ
وَالـعَـيـش بَـعْـدَ فِـرَاقـهـا مَـنْـكـودُ[٣]
يـا عَـبْـلَ! قَـدْ دَنَـتِ الـمَـنـيّـةُ فَـانْـدُبـي
إنْ كـانَ جـفـنُـكِ بـالـدّمـوعِ يـجُـودُ[٤]
يـا عَـبْـلَ! إنْ تَـبْـكـي عـلـيّ فَـقَـدْ بـكـى
صَـرْفُ الـزّمـانِ عـلـيّ، وَهـوَ حَـسُـودُ[٥]
يـا عَـبْـلَ! إنْ سَـفَـكـوا دَمـي فَـفـعـائـلـي
فـي كُـلّ يَـوْمٍ ذِكْـرُهُـنّ جَـدِيـدُ[٦]

= بأنهم يؤسرون في الحروب ويقيّدون بالسلاسل وذلك مصدر اعتزازهم، أما النسوة فعزّهن ببخانق تستر صدورهن وأعناقهن المزدانة بالعقود.

(١) الرواق من الليل: مقدمه وجانبه. جنى العنقود: الخمر. ما يسكر الشاعر جولان الخيول في ميادين القتال في الليل، لا الخمر.

(٢)، (٣) يخاطب الشاعر الدهر متمنياً عليه ألّا يُبقيه حيّاً لأنه يتمنى لو يقتل، وهو يقاتل في سبيل خلاصه من حياة ليست عبلة فيها إلى جانبه، فالعيش حينئذٍ نكد وعذاب.

(٤) يخاطب الشاعر عبلة طالباً منها أن تندُبه، فالموت يقرع أبواب حياته، إذا كانت لديها القدرة على البكاء.

(٥) صرف الزمان: نوائبه ومصائبه. وهو يخاطبها إن كان باستطاعتها القدرة على البكاء، فلطالما أبكى الزمان لما أنزل بأناسه من مهالك ومصائب.

(٦) سفك الدم: أراقه، وهو يخاطبها أنه لو استطاع الأعداء قتله، فإن ذكر بطولاته سيتحدّث بها الأجيال المقبلة لتلذّذ بذكر مآثره.

لـهـفـي عَـلَـيْـكِ إذا بـقـيـتِ سَـبـيّـةً،
تَـدْعـيـنَ عَـنْـتَـرَ، وَهْـوَ عَـنْـكِ بَـعـيـدُ[١]
وَلـقـدْ لـقـيـتُ الـفُـرْسَ يـا ابْـنَـةَ مـالِـكٍ
وَجُـيُـوشُـهـا قـد ضَـاقَ عـنـهـا الـبِـيـدُ[٢]
وَتَـمُـوجُ مَـوْجَ الـبَـحْـرِ، إلا أنّـهـا
لاقَـتْ أسُـوداً فَـوْقَـهُـنّ حَـدِيـدُ[٣]
جـارُوا فَـحَـكّـمْـنـا الـصّـوَارِمَ بَـيْـنَـنـا
فَـقـضَـتْ وَأطـرَافُ الـرّمـاحِ شُـهُـودُ[٤]
يـا عَـبْـلَ! كـمْ مـن جَـحْـفَـلٍ فـرّقْـتُـهُ
وَالـجَـوُّ أسْـوَدُ وَالـجِـبَـالُ تَـمـيـدُ[٥]
فَـسَـطـا عـلـيّ الـدّهـرُ سَـطْـوَةَ غـادِرٍ،
وَالـدّهْـرُ يَـبْـخُـلُ تـارَةً وَيَـجُـودُ[٦]

---

(١) يأسف الشاعر لما نزل بعبلة من مهانة الأسر، فإنه لا يقدر على شيء لبعد الشقّة بينهما، رغم استغاثتها به.

(٢)، (٣) يفخر الشاعر بتصدّيه للفرس، فجيوشهم لكثرتها ضاقت بهم الأرض بصحاريها وبواديها؛ إنه موج متلاطم يبتلع كلّ شيء إلّا رجلاً كالليل بسواده، وقد تسربل بالحديد وقد تقدّم عشيرته الباسلة لقتالهم.

(٤) إنهم قوم ظلمة كان ردّنا عليهم بالسيوف القاطعة، فكان حكمها قضاءً مبرماً، وكانت الرماح شاهدة على أفعالنا بهم.

(٥) يخاطب الشاعر عبلة مذكّراً بحسن فعاله بالفرس؛ لقد مزّق جيوشهم وفرّق جموعهم، وقد تعالت الغبار فسدّت أقطار السماء لذا اضطربت الجبال لهول ما فعلت بهم.

(٦) من مصائب الدهر أنه غدر بالشاعر فأوقعه أسيراً بأيدي الأعداء ومن طبيعته أنه يتكرّم على البشر بالمجد والجاه وقد يمسك يده بخلاً ولؤماً.